باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاعتبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتحريكاً للاذهان. ولكن العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فمن براعتنا كلو ولا ندرج ما نخرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستغار على المعارك

الفصاحة والبلاغة

حضرة الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

طالعت في المقتطف الاخير مقالة شائقة في «الفصاحة والبلاغة» لكاتب متحجب ولكنهُ لم يغب عن مراقبيهِ الذين استشفُّوا عينهُ من خلال هذا الاثر

وقفتُ على مقالتهِ ورأيتها حقها من التدبر والتأمل فراعني ما لقيتهُ من براعة كاتبها في استنباط اساليب الذود عن حوض الذين شهرتهم محكمة علماء البيان حاكمةً عليهم بمخالفة شروط الفصاحة والندّ عن نهج البلاغة وراقني تفننهُ في محاولة نقض هذا الحكم وهو متين الوضع محكم البناء حتى انهُ يوشك ان يكون مُبرماً كالقضاء فشكرت لهُ ابداعهُ في التفضل والدفاع واثنيت على حسن سعيهِ واجتهادهِ في ترقية افكار طلاَّب الادب وتحريرها من ربقة التقييد وحثّها على الجري في مضمار الابتكار والتوليد

على اني لا اكتمهُ اني رأيت في مقالتهِ اموراً لا اوافقهُ عليها ولا يسعني السكوت عنها. ولما كنت عالماً كل العلم بسعة صدرهِ وحرية افكارهِ وانهُ ليس من اولئك الذين يدعون العصمة والسداد ويكبر عليهم ان ينحدى لهم احد بشيء من الاعتراض والانتقاد جئت استأذنكم في نشر ملاحظاتي هذه على صفحات المقتطف ليطلع صديقي نوش عليها ويرى رأيهُ فيها آملاً انهُ يحملها على ما يعهدهُ احدنا في الآخر من حسن النية ونزاهة القصد فكلانا وارد شرعة ورائد نجعة وكلانا ضالتهُ المنشودة نهجٌ سديد يتوخاهُ في بحث مفيد يتقرَّاهُ

(١)

اشار الى استشهاد علماء البيان على احد عيوب الفصاحة بالنقاخ في قول الشاعر:

واحسن من بكرع الماء قال لي دع الخمر واشرب من نقاخ مبرّد

فخالفهم في ذلك وقال ان استشهادهم بالنقاخ على الاخلال بالفصاحة في غير محلهِ . وخلاصة ما استدل بهِ على صحة حكمهِ ان الشاعر اراد تفضيل الخمر على الماء فلا بدع اذا جاء بالفصيح اسماء الخمر واقبح اسماء الماء . وقد خفي عليَّ وجه حكمهِ على النقاخ بكونهِ اقبح اسماء الماء أباعتبار لفظهِ ام باعتبار معناهُ ؟ فان كان الاول فنسبة الاقبحية اليهِ لا تصح الاَّ بكونهِ كريهاً في السمع ثقيلاً على الأذن كما قال البيانيون ولا وجه لمخالفتهم ومعارضة نقض حكمهم . وان كان الثاني لم يوافقهُ عليهِ احد من رجال هذا الفن لانهم يرونهُ ادلَّ اسماء الماء على أفضل انواعهِ كيف لا ومعناهُ الماء البارد العذب الصافي سمّي بذلك لانهُ ينقخ العطش اي يكسرهُ . واذا كان مراد الشاعر تفضيل الخمر على الماء كما ذهب صديقي ن . ش . وفيهِ نظر فأحرِ بالنقاخ ان يخيّب مرادهُ من هذا القبيل . وكان حقهُ ان يجيء بدل « النقاخ المبرّد » « بالاجون المسهّد » مثلاً (اي الماء الذي تغيَّر لونهُ وطعمهُ ورائحتهُ)

إذاً عيب النقاخ لفظيٌّ وهو كراهتهُ في السمع كما قال علماء البيان . وكأني بصديقي ن . ش . تكلَّف مخالفتهم تكلُّفاً فاقهُ الطبع من حيث لا يدري الى موافقتهم والاعتراف بأن النقاخ اثقل اسماء الماء على الاذن واوقرها للسمع

(٢)

وهنا انتقل الى عيب آخر من عيوب الفصاحة وهو تنافر الكلمات كما في هذا البيت :—

وقبر حربٍ بمكانٍ قفر وليس قرب قبر حرب قبرُ

فسلَّم بتنافر كلماتهِ وكونها غير فصيحة كلفظة نقاخ . ولكنهُ قيد تسليمهُ هذا بشرط ان يكون مراد علماء البيان بالفصاحة مجرّد السلامة من العيوب « بلا نظر الى المراد وبعبارة اخرى بلا نظر الى البلاغة » قلت نعم هذا هو مرادهم بعينهِ كما نصُّوا عليهِ في كتبهم . والبلاغة غير منظور فيها الى الفصاحة على الاطلاق بخلاف الفصاحة فانها من شروط البلاغة ولذلك قالوا كل بليغ فصيح ولا يعكس

ومهما تكن اغراض الكتَّاب والشعراء في ما يكتبونهُ وينظمونهُ كإرادة المداعبة والملاهاة والمماجزة والمعاياة او قصد الإلغاز والتعمية والمحاجاة او تكلف جناسٍ او نوعٍ من البديع او التزام سجع او حفظ قافية او غيرها من المقاصد فان هذه كلها لم تكن تبيح لاحدهم ارتكاب شيء ممَّا يخالف القواعد والاحكام الموضوعة لعلوم اللغة وفنونها . وهذا الامر غير

محصور في اللغة العربية بل هو شامل لاحكام الصرف والنحو والبيان في اللغات الافرنجية فانك ترى علماءها يثبتون في كتبهم ما اجمعوا عليه من القواعد والقوانين ويخطئون من خالفها مشيرين اليه باسمه ولو كان من ابلغ الكتّاب وانبغ الشعراء

إذاً رجال القلم — امراؤه وملوكه وسلاطينه — هم في كل لغة لأحكامها خاضعون وامام محكمتها متساوون فلا يحق لاحدهم ان يتشبّه بكبار رجال السيف ويقول عن نفسه « انا فوق القانون »

وبناء عليه يُعدّ ناظم هذا البيت الذي نحن بصدده مركّباً اعيب التنافر ومحكوماً عليه بالإخلال باحد شروط فصاحة المركب . ولهذا الحكم — كغيره من احكام علوم اللغة — قاطع جامع يتناول كل مخالف له من الكتّاب والشعراء على الاطلاق . فليس لصديقي ن ش ا والحالة هذه ان يستثني منه حتى عميدهم وحامل لوائهم أبا الطيب المتنبي في بيته : —

وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشى قلاقل عيش كلهن قلاقل

فان هذه القلاقل اشبه بالزلازل وان توالى هبوبها على معالم الفصاحة ولم تزق شرها دكّت بنيانها وقوّضت اركانها

هذا ولا يخفى ان الافراط في الاجتهاد مضرّ كالتفريط فيه وهو في الادب كما في غيره محفوف بمزالق ومعاثر قد لا يسلم الخابطون فيها من المخاطر . وتحمل الاعذار لمن يرتكب خطأ أيّاً كان نوعه هو من شرّ التقاليد التي تذأب كلّنا في تمزيق اطمارها ومحو آثارها . واقل ما في هذا التحمّل ادّعاء العصمة لأناس هم منها براء وكانوا في حياتهم بعيدين عنها بعد الارض عن السماء

(٣)

لا والذي هو عالم ان النوى مرّ وان ابا الحسين كريم

هذا البيت لابي تمام الشاعر المشهور من قصيدة مطلعها :

كذبك ظالمة البريء ظلوم وإلمام من ذي قدرة مذموم

وقد عابه عليه البيانيون من وجهين اولهما عطفه بلا جامع يسوّغ ذلك لأن مرارة النوى وكرم ابي الحسين ليس بينهما أقل شيء من المناسبة او المضادّة فلا يحسن الجمع بينهما والثاني انتقاله الى المدح على اسلوب ليس فيه شيء مما يقتضيه حسن التخلّص المعدود احد اسوار القصيدة الثلاثة فانه يوجب على الشاعر ان يستطرد من سياق الكلام الذي اخذ فيه الى

غيرهِ على وجه يخلصهُ اختلاساً بحيث لا يشعر السامع بانتقالهِ من المعنى الاول الاَّ وهو قد وقع في الثاني لشدَّة ما بينهما من الالتئام . ولما كان الانتقال من ذكر النوى الى كرم ابي الحسين خالياً من هذا الامر البيت عُدَّ البيت عاطلاً من حلية حسن التخلُّص

اما صديقي ن ش . فعارض في هذا الحكم وحاول نقضهُ بتعليل طويل دلَّ على حسن اجتهادهِ ولكنهُ لم يظفرهُ بنيل مرادهِ . على اني اشكر لهُ تنبيههُ على خطإٍ قولـــ ابي تمام « النوى مرٌّ » وصوابهُ مُرَّةٌ الاَّ ان يكون مرادهُ بالمرّ العصير المعروف [وهو طيب الرائحة مرّ الطعم] لا الصفة من مرَّ ضدَّ حلا وحينئذٍ ينتفي وجوب تأنيثهِ

بقي انهُ في كلامهِ على البلاغة عرَّفها بانها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ثم قال على الاثر انها « قد تكون بكلام وقد تكون بلا كلام » وأسهب في ذلك إسهاباً طويلاً . واذا صحَّ انَّ البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال — وانها لكذلك — فما ليس بكلام ليس ببلاغة . واذا جاز لنا عند المبالغة في وصف فائدة السكوت ان نعدَّهُ ابلغ من الكلام كقول المتنبّي « لسان الدمع افصح من بيانٍ » وكقولي بالامس لمن سألني عن سبب تركي الكتابة في هذه الايام : —

سكوتي الآن ابلغ من كلامي فما شأن اليراع مع الحسام

لم يجز لنا قسمة البلاغة الى ناطقة وصامتة لانها لا تكون الاَّ بالكلام

وقد أصاب في ما لاحظهُ على بيت شوقي من رفع « فيطرب » وحقهُ النصب لانهُ معطوف على « أن يغني » ولا يصحُّ جعل الفاء فصيحة مستأنفة . هذا هو موجب نصب « فيطرب » لا غير . اما الموجب الآخر الذي اشار اليهِ بقولهِ : « بعد وقوعها في جواب طلب محض » ففيهِ نظر لان انتصاب المضارع بان المضمرة وجوباً بعد فاء السببية الواقعة في جواب الطلب المحض يشترط فيهِ ان تكون صيغة الطلب خالية من أن وان يكون فاعل الجواب غير فاعل الطلب نحو هل تزورنا فتحدثك اما في نحو قولك « هل لك ان تزورنا فتحدثنا » فالجواب منصوب بالعطف على الطلب لا بان المضمرة بعد الفاء وجوباً وفي قولك « هل تزورنا فتحدثنا » مرفوع بالعطف عليهِ . وهكذا الجواب في « فهل ليراعي انت يغني فيطرب » فانهُ منصوب بالعطف على الطلب ولو حذفتَ أن وقلتَ هل يغني يراعي فيطرب لامتنع نصب الجواب والله اعلم بالصواب

القاهرة اسعد داغر

بالاوساط العلمية المعروفة في اوربا ومصر وامهب في ذلك كله باحثاً ومدققاً وحبذا لو دقق بمثل ذلك في ما ذكره في الصفحة ٢٨٠ وما بعدها من حيث المكر السياسي فان كتاب لورد كرومر صريح في هذا الباب مؤيد بالادلة الرسمية يظهر الاخلاص في كل سطر منهُ ومداره على ان الحكومة الانكليزية لم تكن قط راغبة في احتلال القطر المصري ولا في البقاء فيهِ . وهذا ليس من موضوع الكتاب ولو استطراداً

تاريخ مصر الى الفتح العثماني

تأليف عمر افندي الاسكندري والمستر سفدج

اودع المؤلفان هذا الكتاب خلاصة تاريخ مصر من اول عهدها الى اوائل القرن السادس عشر لميلاد اي مدة سبعة آلاف سنة او اكثر ولذلك التزما الاختصار التام لكنهما ذكرا زبدة ما يحتاج اليهِ التلميذ او ما يحسن ان تعيهُ ذاكرتهُ من امهات الحوادث وزينا الكتاب بكثير من الصور التي تزيد المتن وضوحاً . ومما يزيد هذا التاريخ فائدة ان مؤلفيهِ توخيا جعلهُ وطنياً على قدر الامكان فنشرا فيهِ صوراً كثيرة من الآثار والمباني المصرية . ولما تكلما عن الاسكندر المكدوني رسما صورة تمثالهِ المحفوظ في دار الآثار بالاسكندرية وكذلك صورة يوليوس قيصر وكليوبطرة ومرقس اوريليوس فانها منقولة عن تماثيلهم المحفوظة في تلك الدار . وامهبا في الكلام على العرب وادبائهم وآدابهم وعلومهم وحروبهم . وفي الكتاب خلاصات تاريخية تسهيلاً للمراجعة وفيهِ نحو ٣٠٠ صفحة

الشذور

اهدى الينا الكاتب الاديب عباس افندي محمود العقاد كتيباً سماهُ الشذور وقال فيهِ انهُ مقالات قصار في الادب والاخلاق لم يسبق نشرها . وعدد المقالات اثنتا عشرة مقالة في موضوعات شتى كالراحة والغرور والبخيل وقوة الارادة . ومنها مقالة عنوانها « الصدى ونرجس » نثبتها برمتها للدلالة على اسلوب الكاتب قال :

«الصدى في اساطير القدماء جنيّة من بنات الغاب والاودية ، ونرجس فتى صليل المعين من آلهة الماء . وكانت الصدى ذات منطق فصيح وحديث خلاب يستهوي السامع فينسيهِ نفسهُ ، ويلهيهِ عن شأنه ، فمرت بها (هيرا) حليلة (زوس) رب الارباب فاستوقفتها بالحديث وعالتها عما قدمت لهُ . وكانت هيرا قادمةً لتباغت (زوس) مع خليلاته فلما وصلت كان قد هرب وبقي حليلها وحدهُ في مخدعها . وعلمت هيرا انهُ لولا الصدى لما أفلتَ

ولتلك الضرائر منها فنضبت عليها وسلبتها قوة الحديث الاَّ ان تردد ما تسمعهُ ولا تزيد عليهِ

أحبت الصدى نرجس فلم يحفل بها ، وامتنع عليها ان تبثهُ هيامها فذاب لهيبها ، وبلي عظمها ، ولم يبق منها الاَّ نفس مصعد ، وصوت مردد . اما نرجس فقد تقمت عليهِ (نمسيس) بنت الليل والربة المنتصفة للمظلوم من الظالم . فقمت عليهِ جفاءهُ وتيهه فامهلتهُ الى ان اقبل على بعض العيون ووقف يتعجب مما ابداهُ الماء من جمالهِ فمسخته زهرةً في مكانهِ ، فهو لا يبرح واقفاً على حافات العيون والجداول ناكس الطرف يطل على خياله في الماء

بهذا التمثيل الشعري كان القدماء يفسرون عجائب الطبيعة ويشاركونها في الاحساس فيبتهجون ويحزنون انها تضحك لهم ، ويحزنون ويحسبون انها تبكي معهم . ويصاحبونها مصاحبة الاحياء للاحياء ، فكانت الطبيعة حياةً كلها وليس في زاوية من اخفى زواياها موضع للجمود

وقد كانت هذه الاساطير مادة غزيرة للشعراء فاولعوا بالنظم فيها ، وعُني احدهم بنظم قصص المبدولين والمتقمصين فسبكها احسن سبك . وهو (پبليوس اوڤيديوس ناسو) شاعر لاتيني ولد قبل الميلاد ونفاهُ القيصر اوغسطس من رومة لافتتان الشعب الروماني بغزله . كما نفى عمر بن عبد العزيز الفرزدق من المدينة لتهتكهِ ، وكما نهى المهدي بشاراً عن التشبيب في ابان المدنية العباسية . واليك ما نظمهُ في حكاية الصدى قال :

« راعت الصدى تقفو اقدام نرجس ولا يراها . وكلما خفتهُ تعاظمت برحاؤها ، وتحرقت احشاؤها ، كهواء المشاعل يتبعها ولا تدركهُ الابصار ، ويكاد يضطرم وان لم تمسهُ نار . وطالما همت بان تفاتحهُ بتحية او تستعطفهُ بكلمة ، فكان يخونها الحياء ، ويستعصي عليها النداء

« وضل نرجس عن رفاقهِ يوماً فجعل يصيح أليس هنا احد ؟ ؟ قالت الصدى أليس هنا احد . . . وسكتت

« فبهت نرجس والتفت حولهُ أيرى مصدر الصوت ، وينادي هلم اليَّ ! هلم اليَّ ! فسمع الصدى تجيبهُ ! هلم اليَّ . . .

« وقال نرجس دعينا نلتقِ ! ! فسرعان ما سمع رجع كلامهِ بصوت مد فيهِ الحنان ، وترقرت بهِ الشعاب والغيران . ورثبت اليهِ تضمهُ وتعانقهُ فاجفل منها ومضى وهو يقول : اعزبي عني ! ! لا كنت ولا كان قلبي ان جرى بيننا الحب . . .

« صدمة كسرت قلب الصدى فنادت وهي كاسفة . . . جرى بيننا الحب ! !

« ثم ما زالت تخر في قلبها الداء الدفين ، ويأكل منها الكمد والانين ، حتى عادت ارق من الهواء . وبراها النحول الاَّ خفقة نداء ، لا تلبث ان يعبث بها الفضاء »